

كما زكى عبده ورسوله البشري محمداً ﷺ بقوله تعالى : ﴿وما صاحبكم بمجنون﴾ قال الشعبي وميمون بن مهران وأبو صالح ومن تقدم ذكرهم : المراد بقوله ﴿وما صاحبكم بمجنون﴾ يعني محمداً ﷺ ، وقوله تعالى : ﴿ولقد رآه بالأفق المبين﴾ يعني ولقد رأى محمد جبريل الذي يأتيه بالرسالة عن الله عز وجل على الصورة التي خلقه الله عليها له ستائة جناح ﴿بالأفق المبين﴾ أي البين وهي الرؤية الأولى التي كانت بالبطحاء وهي المذكورة في قوله ﴿علمه شديد القوى . ذو مرة فاستوى . وهو بالأفق الأعلى . ثم دنا فتدلى . فكان قاب قوسين أو أدنى . فأوحى إلى عبده ما أوحى﴾ كما تقدم تفسير ذلك وتقريره ، والدليل عليه أن المراد بذلك جبريل عليه السلام ، والظاهر والله أعلم أن هذه السورة نزلت قبل ليلة الإسراء لأنه لم يذكر فيها إلا هذه الرؤيا وهي الأولى ، وأما الثانية وهي المذكورة في قوله تعالى : ﴿ولقد رآه نزلة أخرى . عند سدرة المنتهى . عندها جنة المأوى . إذ يغشى السدرة ما يغشى﴾ فتلك إنما ذكرت في سورة النجم وقد نزلت بعد سورة الإسراء . وقوله تعالى : ﴿وما هو على الغيب بظنين﴾ أي وما محمد على ما أنزله الله إليه بظنين أي بمتهم . ومنهم من قرأ ذلك بالضاد أي ببخيل بل يبذله لكل أحد . قال سفيان ابن عيينة : ظنين وضمنين سواء أي ما هو بكاذب وما هو بفاجر . والغننين المتهم والضمنين البخيل . وقال قتادة : كان القرآن غيباً فأنزله الله على محمد فما ضمن به على الناس بل نشره وبلغه وبذنه لكل من أراه ، وكذا قال عكرمة وابن زيد وغير واحد واختار ابن جرير قراءة الضاد ﴿قلت﴾ : وكلاهما متواتر ومعناه صحيح كما تقدم ، وقوله تعالى : ﴿وما هو بقول شيطان رجيم﴾ أي وما هذا القرآن بقول شيطان رجيم أي لا يقدر على حمله ولا يريده ولا ينبغي له كما قال تعالى : ﴿وما تنزلت به الشياطين . وما ينبغي لهم وما يستطيعون . إنهم عن السمع لمعزولون﴾ ، وقوله تعالى : ﴿فأين تذهبون؟﴾ أي فأين تذهب عقولكم في تكذيبكم بهذا القرآن مع ظهوره ووضوحه وبيان كونه حقاً من عند الله عز وجل كما قال الصديق رضي الله عنه لوفد بني حنيفة حين قدموا مسلمين وأمرهم قتلوا عليه شيئاً من قرآن مسيلم الكذاب الذي هو في غاية الهذيان والركاكة فقال : ويحكم أين تذهب عقولكم ؟ والله إن هذا الكلام لم يخرج من إله ، أي من إله ، وقال قتادة ﴿فأين تذهبون﴾ أي عن كتاب الله وعن طاعته . وقوله تعالى : ﴿إن هو إلا ذكر للعالمين﴾ أي هذا القرآن ذكر لجميع الناس يتذكرون به ويتعظون ﴿لمن شاء منكم أن يستقيم﴾ أي من أراد الهداية فعليه هذا القرآن فإنه مناجاة له وهداية ، ولا هداية فيها سواء ﴿وما تشاءون إلا أن يشاء الله رب العالمين﴾ أي ليست المشيئة موكولة إليكم فمن شاء اهتدى ومن شاء ضل ، بل ذلك كله تابع لمشيئة الله تعالى رب العالمين . قال سفيان الثوري عن سعيد بن عبد العزيز عن سليمان بن موسى : لما نزلت هذه الآية ﴿لمن شاء منكم أن يستقيم﴾ قال أبو جهل : الأمر إلينا إن شئنا استقمنا وإن شئنا لم نستقم فأنزل الله تعالى : ﴿وما تشاءون إلا أن يشاء الله رب العالمين﴾ . آخر تفسير سورة التكوير . والله الحمد والمثنة .

## سُورَةُ الْإِنْفِطَارِ

قال النسائي : أخبرنا محمد بن قدامة حدثنا جرير عن الأعمش عن محارب بن دثار عن جابر قال : قام معاذ فصل العشاء الآخرة فطول فقال النبي ﷺ ﴿أفتان أنت يامعاذ؟ أين كنت عن سبح اسم ربك الأعلى ، والضحى ، وإذا السواء انفطرت﴾ وأصل الحديث مخرج في الصحيحين ولكن ذكر ﴿إذا السواء انفطرت﴾ في إفراد النسائي . وقد تقدم من رواية عبد الله بن عمر عن النبي ﷺ قال «من سره أن ينظر إلى القيامة رأي عين فليقرأ إذا الشمس كورت ، وإذا السواء انفطرت ، وإذا السواء انشقت» .

### بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِذَا السَّمَاءُ انْفَطَرَتْ ﴿١﴾ وَإِذَا الْكَوَاكِبُ انْتَرَتْ ﴿٢﴾ وَإِذَا الْبِحَارُ فُجِرَتْ ﴿٣﴾ وَإِذَا الْقُبُورُ بُعِثَتْ ﴿٤﴾ عَلِمْتَ نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ  
وَأَخَّرَتْ ﴿٥﴾ بَيِّنَاتٍ لِّلْإِنْسَانِ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ ﴿٦﴾ الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّبَكَ غَدَلًا ﴿٧﴾ فِي أَيِّ صُورَةٍ مَا شَاءَ رَكَّبَكَ ﴿٨﴾

كَلَّا بَلْ تُكذِّبُونَ بِالَّذِينَ ﴿١﴾ وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ ﴿٢﴾ كَرَامًا كَاتِبِينَ ﴿٣﴾ يَعْمَلُونَ مَا تَأْمُرُونَ ﴿٤﴾

يقول تعالى : ﴿إِذَا السَّمَاءُ انْفَطَرَتْ﴾ أي انشقت كما قال تعالى : ﴿السَّمَاءُ مَنفُطْرَةٌ﴾ ﴿وَإِذَا الْكَوَاكِبُ انْتَثَرَتْ﴾ أي تساقطت ﴿وَإِذَا الْبِحَارُ فُجِّرَتْ﴾ قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس : فجر الله بعضها في بعض . وقال الحسن : فجر الله بعضها في بعض فذهب ماؤها ، وقال قتادة : اختلط عذبا بما حلها .

وقال الكلبي : ملئت ﴿وَإِذَا الْقُبُورُ بُعِثَتْ﴾ قال ابن عباس : بحثت ، وقال السدي : تبعثر تحرك فيخرج من فيها ﴿عَلِمْتَ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ﴾ أي إذا كان هذا حصل هذا . وقوله تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ مَا غَرَكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ؟﴾ هذا تهديد لا كما يتوهمه بعض الناس من أنه إرشاد إلى الجواب حيث قال الكريم حتى يقول قائلهم غره كرمه ، بل المعنى في هذه الآية : ما غرك يا ابن آدم بربك الكريم أي العظيم حتى أقدمت على معصيته وقابلته بما لا يليق . كما جاء في الحديث «يقول الله تعالى يوم القيامة يا ابن آدم ما غرك بي ؟ يا ابن آدم ماذا أحببت المرسلين ؟» .

قال ابن أبي حاتم : حدثنا ابن أبي عمر ، حدثنا سفيان أن عمر سمع رجلاً يقرأ ﴿يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ مَا غَرَكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ؟﴾ فقال عمر : الجهل . وقال أيضاً : حدثنا عمر بن شبة ، حدثنا أبو خلف ، حدثنا يحيى البكاء ، سمعت ابن عمر يقول وقرأ هذه الآية ﴿يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ مَا غَرَكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ؟﴾ قال ابن عمر : غره والله جهله ، قال : وروي عن ابن عباس والربيع بن خيثم والحسن مثل ذلك وقال قتادة : ﴿مَا غَرَكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ؟﴾ شيء ، ما غر ابن آدم غير هذا العدو الشيطان . وقال الفضيل بن عياض : لو قال لي ما غرك بي لقلت : ستورك المرحاة . وقال أبو بكر الوراق : لو قال لي ما غرك بربك الكريم لقلت : غري كرم الكريم . وقال بعض أهل الإشارة : إنما قال بربك الكريم دون سائر أسمائه وصفاته كأنه لقنه الإجابة وهذا الذي تخيله هذا القائل ليس بطائل لأنه إنما أتى باسمه الكريم لينبه على أنه لا ينبغي أن يقابل الكريم بالأفعال القبيحة وأعمال الفجور ، وقد حكى البيهقي عن الكلبي ومقاتل أنها قالا : نزلت هذه الآية في الأسود بن شريق ضرب النبي ﷺ ولم يعاقب في الحالة الراهنة فأنزل الله تعالى : ﴿مَا غَرَكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ؟﴾ .

وقوله تعالى : ﴿الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ﴾ أي جعلك سواً مستقيماً معتدلاً القائمة منتصبها في أحسن الهيئات والأشكال . قال الإمام أحمد : حدثنا أبو المغيرة ، حدثنا جرير ، حدثني عبد الرحمن بن ميسرة عن جبير بن نفير ، عن بشر بن جحاش القرشي أن رسول الله ﷺ بصق يوماً في كفه فوضع عليها أصبعه ثم قال «قال الله عز وجل : يا ابن آدم أنى تعجزني وقد خلقتك من مثل هذه ؟ حتى إذا سويتك وعدلتك مشيت بين بردين وللأرض منك وئيد ، فجمعت ومنعت حتى إذا بلغت التراقي قلت أتصدق وأنى أوأن الصدقة ؟» وكذا رواه ابن ماجه عن أبي بكر بن أبي شيبه ، عن يزيد بن هارون ، عن جرير بن عثمان به . قال شيخنا الحافظ أبو الحجاج المزي وتابعه يحيى بن حمزة عن ثور بن يزيد عن عبد الرحمن بن ميسرة .

وقوله تعالى : ﴿فِي أَيِّ صُورَةٍ مَّا شَاءَ رَكَّبَكَ﴾ قال مجاهد : في أي شبه أب أو أم أو خال أو عم . وقال ابن جرير : حدثني محمد بن سنان الفزاري ، حدثنا مطهر بن الهيثم ، حدثنا موسى بن علي بن رباح ، حدثني أبي عن جدي أن النبي ﷺ قال له «ما ولد لك ؟» قال : يارسول الله ماعسى أن يولد لي إما غلام وإما جارية . قال «فمن يشبه ؟» قال : يارسول الله من عسى أن يشبه إما أباه وإما أمه . فقال النبي ﷺ عندها «مه لا تقولن هكذا إن النطفة إذا استقرت في الرحم أحصرها الله تعالى كل نسب بينها وبين آدم ؟ أما قرأت هذه الآية في كتاب الله تعالى في أي صورة ما شاء ركبك» قال : شكلك .

وهكذا رواه ابن أبي حاتم والطبراني من حديث مطهر بن الهيثم به ، وهذا الحديث لو صح لكان فيضلاً في هذه الآية ولكن إسناده ليس بالثابت ، لأن مطهر بن الهيثم قال فيه أبو سعيد بن يونس كان متروك الحديث ، وقال ابن حبان ، يروى عن موسى بن علي وغيره مالا يشبه حديث الأثبات ، ولكن في الصحيحين عن أبي هريرة أن رجلاً قال : يارسول الله إن امرأتي ولدت غلاماً أسود ، قال «هل لك من إبل ؟» قال نعم ، قال «فيا ألوانها» قال : حمر ، قال «فهل فيها من أورك» قال : نعم ، قال «فأنى أتأها ذلك» قال : عسى أن يكون نزع عرق . قال «وهذا عسى أن يكون نزع عرق» . وقد قال عكرمة في قوله تعالى : ﴿فِي أَيِّ صُورَةٍ مَّا شَاءَ رَكَّبَكَ﴾ إن شاء في صورة قرد وإن شاء في صورة خنزير ، وكذا قال أبو

صالح ﴿ في أي صورة ماشاء ربك ﴾ إن شاء في صورة كلب وإن شاء في صورة حمار وإن شاء في صورة خنزير . وقال قتادة : ﴿ في أي صورة ماشاء ربك ﴾ قال : قادر والله ربنا على ذلك ، ومعنى هذا القول عند هؤلاء أن الله عز وجل قادر على خلق النطفة على شكل قبيح من الحيوانات المنكرة الخلق ، ولكن بقدرته ولطفه وحلمه يخلفه على شكل حسن مستقيم معتد تام حسن المنظر والهيئة .

وقوله تعالى ﴿ كلا بل تكذبون بالدين ﴾ أي إنما يحملكم على مواجهة الكريم ومقابلته بالمعاصي تكذيب في قلوبكم بالمعاد والجزاء والحساب . وقوله تعالى ﴿ وإن عليكم لحافظين كراما كاتبين يعلمون ما تفعلون ﴾ يعني وإن عليكم ملائكة حفظة كراما فلا تقابلوهم بالقبائح فإنهم يكتبون عليكم جميع أعمالكم . قال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا علي بن محمد الطناسي حدثنا وكيع حدثنا سفيان وسمر عن علقمة بن مرثد عن مجاهد قال : قال رسول الله ﷺ « أكرموا الكرام الكاتبين الذين لا يفارقونكم إلا عند إحدى حالتين الجنابة والغائط ، فإذا اغتسل أحدكم فليستتر بحرم حائض أو ببيعه أو ليستره أخوه » . وقد رواه الحافظ أبو بكر البزار فوصله بلفظ آخر فقال حدثنا محمد بن عثمان بن كرامة حدثنا عبيد الله بن موسى عن حفص بن سليمان عن علقمة بن مرثد عن مجاهد عن ابن عباس قال : قال رسول الله ﷺ « إن الله ينهاكم عن التعري فاستحيوا من ملائكة الله الذين معكم الكرام الكاتبين الذين لا يفارقونكم إلا إحدى ثلاث حالات : الغائط والجنابة والغسل ، فإذا اغتسل أحدكم بالعراء فليستتر بثوبه أو بجرم حائض أو ببيعه ثم قال حفص بن سليمان لين الحديث وقد روى عنه واحتمل حديثه ، وقال الحافظ أبو بكر البراز حدثنا زياد بن أيوب حدثنا ميسرة بن إسحاق الحلبي حدثنا تمام بن نجيع عن الحسن يعني البصري عن أنس قال : قال رسول الله ﷺ « ما من حافظين يرفعان إلى الله عز وجل ما حفظ في يوم فبرى في أول الصحيفة وفي آخرها استغفاراً إلا قال الله قد غفرت لعبدي ما بين طرفي الصحيفة ثم قال تغرد به ثم بن نجيع وهو صالح الحديث (قلت) وثقة ابن معين وضعفه البخاري وأبو زرعة وابن أبي حاتم والنسائي وابن عدي ورماه ابن حبان بالوضع وقال الإمام أحمد لا أعرف حقيقة أمره . وقال الحافظ أبو بكر البزار حدثنا إسحاق بن سليمان البغدادي المعروف بالطوسي حدثنا بيان بن حران حدثنا سلام عن منصور بن زاذان عن محمد بن سيرين عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ « إن لله ملائكة يعرفون بني آدم - وأحسبه قال - ويعرفون أعمالهم - فإذا نظروا إلى عبد يعمل بطاعة الله ذكروه بينهم وسموه وقالوا أفلح الليلة فلان ، نجا الليلة فلان ، وإذا نظروا إلى عبد يعمل بمعصية الله ذكروه بينهم وسموه وقالوا هلك الليلة فلان » ثم قال البزار : سلام هذا أحسبه سلام المدائني وهو لين الحديث .

﴿ ١٧ ﴾ إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ ﴿ ١٨ ﴾ وَإِنَّ الْفَجَارَ لَفِي حِيمٍ ﴿ ١٩ ﴾ يَصْلَوْنَهَا يَوْمَ الدِّينِ ﴿ ٢٠ ﴾ وَمَاهُمْ عَنْهَا بِغَائِبِينَ ﴿ ٢١ ﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمَ الدِّينِ ﴿ ٢٢ ﴾

﴿ ٢٣ ﴾ ثُمَّ مَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمَ الدِّينِ ﴿ ٢٤ ﴾ يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِنَفْسٍ شَيْئًا وَالْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ ﴿ ٢٥ ﴾

يخبر تعالى عما يصير الأبرار إليه من النعيم ، وهم الذين أطاعوا الله عز وجل ولم يقابلوه بالمعاصي ، وقد روى ابن عساکر في ترجمة موسى بن محمد عن هشام بن عمار عن عيسى بن يونس بن أبي إسحاق عن عبيد الله عن محارب عن ابن عمر عن النبي ﷺ قال « إنما سباهم الله الأبرار لأنهم بروا الآباء والأبناء » ثم ذكر ما يصير إليه الفجار من الجحيم والعذاب المقيم ولهذا قال ﴿ يصلونها يوم الدين ﴾ أي يوم الحساب والجزاء والقيامة ﴿ وما هم عنها بغائبين ﴾ أي لا يغيبون عن العذاب ساعة واحدة ولا يخفف عنهم من عذابها ولا يجابون إلى ما يسألون من الموت أو الراحة ولو يوماً واحداً ، وقوله تعالى : ﴿ وما أدراك ما يوم الدين ﴾ تعظيم لشأن يوم القيامة ثم أكد بقوله تعالى : ﴿ ثم ما أدراك ما يوم الدين ﴾ ثم فسره بقوله ﴿ يوم لا تملك نفس لنفس شيئاً ﴾ أي لا يقدر أحد على نفع أحد ولا خلاصه مما هو فيه إلا أن يأذن الله لمن يشاء ويرضى ؛ ونذكر هنا حديث « يا بني هاشم أنفذوا أنفسكم من النار لأملك لكم من الله شيئاً ، وقد تقدم في آخر تفسير سورة الشعراء ولهذا قال ﴿ والأمر يومئذ لله ﴾ كقوله ﴿ لمن الملك اليوم ؟ لله الواحد القهار ﴾ وكقوله ﴿ الملك يومئذ الحق للرحمن ﴾ وكقوله ﴿ مالك يوم الدين ﴾ قال قتادة ﴿ يوم لا تملك نفس لنفس شيئاً والأمر يومئذ لله ﴾ والأمر والله اليوم لله ، ولكنه لا يتنازع فيه يومئذ أحد . آخر تفسير سورة الانفطار ، والله الحمد والمنة وبه التوفيق والعصمة .